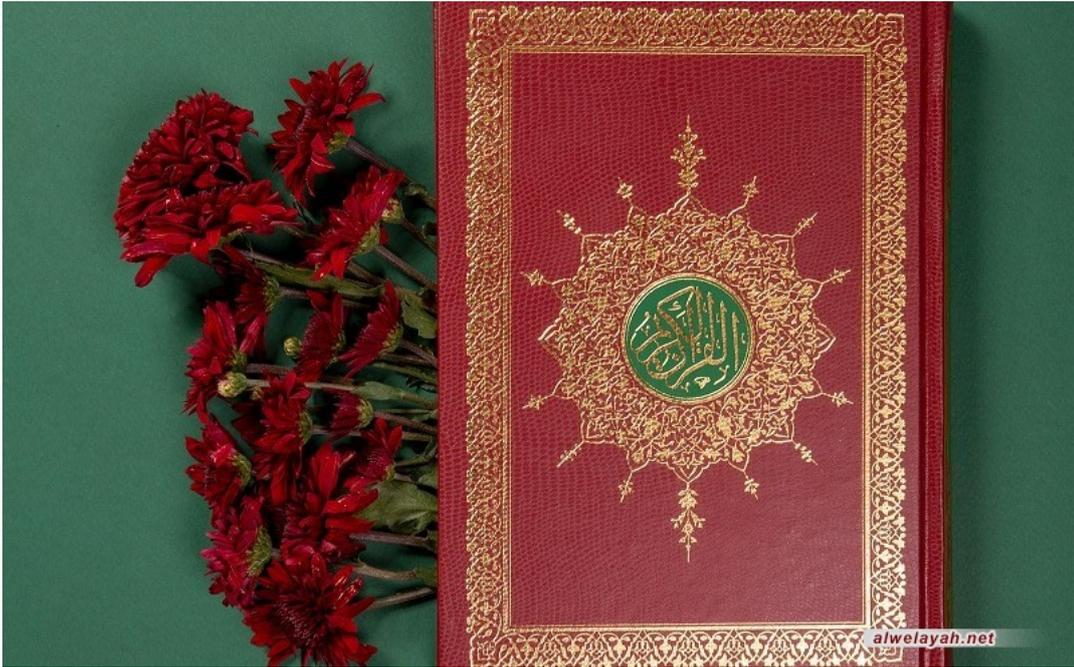


بحث قرآني: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ



أساس النظام الإسلامي مبني على طاعة الله عز وجل: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» ولطاعة الله تعالى مراتب عدة: الأولى الطاعة المصادقية، في أحوال ومصاديق معينة يقول الله تعالى: افعلوا هذا؛ يقول مثلاً: أقيموا الصلاة، هذا أحد أنماط الطاعة أن يطيع الإنسان الأمر الإلهي وينتهي بالنهي الإلهي. والأهم من هذه أن يطيع الناس المنهج والطريق والمشروع الذي يرسمه الله تعالى للحياة لكي تتحقق هذه الخطوة. وهذه الخطوة لا تحصل بالأعمال الفردية، إنها قضية أعلى وأسمى وتحتاج إلى عمل جماعي حتى يتحقق المشروع الإلهي والهندسة الإلهية بخصوص وضع المجتمع الإسلامي.

مجموعة من الدروس القرآنية للإمام الخامنئي التي فسرها سماحته وشرحها ضمن خطابه.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِسْلَاحُ الَّذِينَ يُبَيِّنُ

سورة النور المباركة [054]

الاعتقاد با [عز وجل لا يتحقق دون الاعتقاد بالرسول الأكرم (ص)]

لقد أمرنا [عز وجل نحن المسلمين أن نتبع الرسول الأكرم (ص)]. وهذه التبعية تتعلق بجميع شؤون الحياة. وذلك العظيم، ليس أسوة وقدوة في كلامه فقط، بل أيضاً في سلوكه ونمط عيشه، وكيفية معاشرته للعائلة والناس، وكيفية معاملته للأصدقاء، وكيفية معاملته للأعداء والأجانب وكيفية معاملته للضعفاء والأقوياء، هو أسوة وقدوة في كل شيء. والمجتمع الإسلامي يصبح مجتمعاً إسلامياً كاملاً بالمعنى الحقيقي للكلمة عندما يطابق بين سلوكه وسلوك الرسول الأكرم (ص). (١)

قد يؤمن أحدهم با [عز وجل، دون أن يؤمن بالوحي، لكن هذا ليس كافياً، لذلك تمت الإشارة في القرآن في حالات عديدة إلى إطاعة الرسول الأكرم (ص) بعد طاعة [عز وجل: «اطيعوا [و اطيعوا الرسول» (٢) بينما قد تقولون أنتم أتباع الرسول (ص): من الواضح أنني أطعت الرسول الأكرم (ص) عندما أطيع [عز وجل. نعم أنتم كذلك، لأنكم تعتقدون بالنبوي (ص) -أي بالوحي-، لكن ذاك الذي لا يعتقد بالوحي فسوف لن يطيع رسول [.

كيف تتحقق طاعة [عز وجل؟ هناك مئة احتمال وتصوّر باطلاً؛ ولو كان أحدهم معتقداً با [عز وجل -أي كان عقله خاضعاً أمام حقيقة وجود [- فلن يُخدع وسوف يعجز عن إنكار وجود [. هب إن هذه الخلقه وهذا النظام الكوني المدهش والمعقّد جاء دون قدرة خالق ومهندس له؟ حسناً، عندما يؤمن با [عز وجل، ولم يؤمن بالوحي وأن [سيجعل بينه وبين البشر صلة وصل، سوف يظن حينها كل ما يخطر على باله وحيّاً إلهياً وحكماً إلهياً! بينما ليس الأمر دائماً على هذا النحو بأن يخطو عقل الإنسان في جادة الصواب، بل قد يخطئ في أحيان كثيرة أيضاً. والعقل يحتاج إلى مرشدٍ ومن يرشده ويعلمه كي يحدّد كيفية الفهم وكيفية الرؤية والتمييز بين الحق والحقيقة والباطل. (٣)

الف) الطاعة في شؤون الحياة الفردية

أساس النظام الإسلامي مبني على طاعة الله عز وجل: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»،
«إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (٤)

أساس النظام الإسلامي هو إطاعة الله تعالى، ولطاعة الله تعالى مراتب عدة: الأولى الطاعة المصادقية، في أحوال ومصاديق معينة يقول الله تعالى: افعلوا هذا - حتى لو كان هذا الفعل فعلاً شخصياً - يقول مثلاً: أقيموا الصلاة، أو صوموا، أو زكوا، أو سائر الأمور. هذا أحد أنماط الطاعة أن يطيع الإنسان الأمر الإلهي وينتهي بالنهي الإلهي.

ب) إطاعة وتنفيذ المشروع الإلهي للحياة الاجتماعية

والأهم من هذه الطاعة هي الطاعة المنهجية ومعناها أن يطيع الناس المنهج والطريق والمشروع الذي يرسمه الله تعالى للحياة، لكي تتحقق هذه الخطّة. هذه الخطّة لا تحصل بالأعمال الفردية، إنما هي حالة أخرى وقضية أخرى. إنها قضية أعلى وأسمى وتحتاج إلى عمل جماعي حتى يتحقق المشروع الإلهي والهندسة الإلهية بخصوص وضع المجتمع الإسلامي. من باب الفرض، كان المسلمون في مكة يؤدّون أعمالهم، لكن المجتمع الإسلامي في مكة يختلف عنه في المدينة حيث تأسست هناك حكومة إسلامية. لقد ظهرت هناك إنجازات جديدة وحركة أرقى من الحركات الفردية وهي حركة ضرورية لو تحققت «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»؛ (٦). (٥)

تأثير النظام الإسلامي على الأعمال الفردية

النظام الإسلامي يمنح البشر السعادة. والنظام الإسلامي هو النظام المبني على الهندسة الإلهية للمجتمع وعلى الخطة التي رسمها الخالق للمجتمع. إذا تحققت هذه الخطة لأمكن غض الطرف عن كثير من المخالفات وحالات الزيغ والزلل الفردية والشخصية والجزئية. ثمة رواية تروي حديثاً قدسياً يقول: «لأعدّ بن كل رعية أطاعت إماماً جائراً ليس من الله ولو كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة». و في المقابل: «لأعفون» عن كل رعية أطاعت إماماً عادلاً من الله وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة». (٧) بمعنى أن العمل الفردي والإساءة أو المخالفة الفردية في النظام الاجتماعي الكبير السائر عموماً بالاتجاه الصحيح، يمكن التجاوز عنها وغض النظر عنها، أو هي بتعبير أدق ممكنة الإصلاح والتصحيح، أي إن المجتمع سيستطيع على كل حال الأخذ بأيدي هؤلاء الأفراد إلى الغاية المطلوبة. وذلك خلافاً لما لو كانت الأعمال الفردية صحيحة لكن العلاقات والنظم الاجتماعية خاطئة جائزة غير مشرّعة من قبل الله تعالى، بل مملأة من قبل الشيطان والنفوس وأهوائها، عندئذ لن تستطيع الأعمال الفردية الأخذ بيد ذلك المجتمع إلى الغاية المنشودة وما تريده الشرائع الإلهية من سعادة للبشرية. إذن، قضية الطاعة العامة وأن ينشد الإنسان المنهج الإلهي فيجده ويسير عليه، قضية على جانب كبير من الأهمية. يقوم النظام الإسلامي على أساس التوحيد. (٨)

(1) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة ٢٧/٩/١٩٩١

(2) سورة النور؛ الآية ٥٤

(3) كلمته في جلسة تفسير سورة البقرة ٢٣/١٠/١٩٩١

(4) سورة آل عمران؛ الآية ٣١

(5) سورة المائدة؛ الآية ٦٦

(6) كلمته في لقاء مع أعضاء مجلس خبراء القيادة ٢٥/٢/٢٠١٠

(7) الكافي، ثقة الإسلام الكليني، ج ١، ص ٣٧٦

